الفصل الرابع

حكم الاسرة الانجيلية ١١٨٥ ــ ١٢٠٤ م

طالما كان مانويل كومنين على قيد الحياة فقد كفل للأمبراطورية بذكائه ونشاطه ومقدرته استتباب الامن والنظام في الداخل والمحافظة على نفوذها في الخارج. ولكن عقب موته انهار كل هذا البناء. فعند موت مانويل كان ابنه الكسيوس الثاني مايزال قاصراً كما ان امه الوصية على العرش وهي ماري الانطاكية الاصل كانت غير محبوبة وقد استغل اندرونيقوس كومنين ماصاحب ذلك مع الاستياء العام ونصب نفسه امبراطوراً (١١٨٢ ــ ١١٨٥ م) (١٤٩) واندرونيقوس ربما يعتبر اخر اباطرة الـ كومنين قوة وعظمة. الا انه لم ينعم بالعرش طويلاً فقد قامت ضده ثورة عام ١١٨٥ م اعتلى على اثرها اسحق انجيليوس العرش (١٥٠)

---

(١٤٩) وهو ابن عم الامبراطور مانويل، وكان فارساً له شهرته وذكياً فصيحاً يجيد المناظرة ولديه القدرة على اقناع الاخرين بوجهة نظره. وكان اندرونيقوس جميل الصورة وعرف عنه كثرة مغامراته العاطفية وانه تآمر على ابن عمه مانويل، ولما كشفت المؤامرة فر خارج البلاد ثم عاد الى القسطنطينية وتم القبض عليه واودع احد سجون العاصمة، ولكنه نجح في الفرار ولجأ الى امارة انطاكية الصليبية ثم بيت المقدس. وفي داخل الامارات الصليبية كانت له مغامراته العاطفية مع ثيودورا ارملة الملك الصليبي بلدوين الثالث. وضج الامراء الصليبيون من مسلكه هذا فعاد الى العاصمة البيزنطينية نادماً وتائباً، فعفى عنه الامبراطور مانويل وابعده عن العاصمة ليعيش على اطراف البحر الاسود. وبعد وفاة مانويل بدأ يعمل على الوصول الى عرش الامبراطورية.

(150) Finlay ,Op. Cit, p. 272

اعتلى اسحق انجيلوس العرش الامبراطواري (١١٨٥ ــ ١١٩٥ م) بعدما اطاح بالامبراطور اندرونيقوس. وبذلك يكون قد بدأ حكم اسرة جديدة حكمت الامبراطورية حتى عام ١٢٠٤ م. ولم يختلف اسحق عن سابقه اندرونيقوس فكلاهما كان لاهياً ماجناً اهتم بحياته الخاصة ومتعه الشخصية عن الاهتمام بشؤون الامبراطورية واصلاح احوالها. وقد نحي عن العرش بانقلاب دبره اخوه الكسيوس. وتعرض اسحق لمعاملة قاسية على يد اخيه الذي أمر بسمل عينيه وايداعه السجن.

ان للانقلاب السياسي الذي اسفر عن تتويج الكسيوس الثالث امبراطوراً ١١٩٥ ــ ١٢٠٣ م والاجراءات الانتقامية التي اتبعها ضد اخيه نتائج خطرة بالنسبة الى مصير الامبراطورية اذ اثار بعمله هنري (السادس) امبراطور الامبراطورية المقدسة وذلك لاواصر النسب العائلي. حيث ان بنت اسحق كانت زوجة فيلب شقيق الامبراطور هنري الذي اعتبر نفسه مسؤلاً عن الاخذ بثأر اسحق. هذا بالاضافة الى طموح هنري الى ان يكون امبراطور المسيحيين في الشرق ايضاً. وقد فكر جدياً في الاستيلاء على الامبراطورية البيزنطينية. اضطر الامبراطور الكسيوس الثالث ان يترضى الامبراطور الالماني بتعهده بدفع اتاوات سنوية له. وبقي الامبراطور هنري (السادس) يمثل خطراً على الامبراطورية البيزنطينية حتى وفاته عام ١١٩٧ م. الا ان الضربة الماحقة التي اطاحت بالكسيوس الثالث وعصفت بالامبراطورية البيزنطينية وجهتها الحملة الصليبية الرابعة (١٥١) والحقيقة انه لم تكن لاسحق ولا لخلفائه المؤهلات اللازمة لتفادي الازمة التي هددت الامبراطورية.

العلاقات الخارجية للاباطرة الانجيليين :

وصل اسحق انجيليوس للعرش بعدما اطاح بالامبراطور اندرونيقوس عام ١١٨٥ م. وفي الوقت الذي وصل فيه اسحق للعرش كان الخطر النورماني يهدد الامبراطورية من ناحية الغرب، لذلك بدأ اسحق في عرض الصلح على النورمانيين ولكنهم رفضوا. فاستعدت الامبراطورية للحرب وتمكن القائد البيزنطي براناس

---

(151) Vasiliev, Op. Cit, vol. 2.p. 438, 440, كذلك انظر : اليوسف، المصدر السابق ــ ص ١٥١ ،

Branas من هزيمة النورمانيين وطردهم الى سالونيك وجزيرة كورفو Corfu اهم مراكز النسيج في الامبراطورية ، وانتهى الامر بعقد الصلح بين الطرفين .

وعادت الاخطار الخارجية مرة اخرى ، وكانت هذه المرة من قبل البلغار الذين قاموا في عام ١١٨٨ م بالتوغل داخل اقليم تراقية ، وفشل اسحق في اخضاعهم بالقوة فلجأ الى المفاوضة وطلب الصلح الذي انتهى باطلاق يد البلغار في المنطقة الواقعة من البلقان حتى نهر الدانوب . ففي عام ١١٩٣ م تمرد الصرب على الحكومة البيزنطينية فاستراضاهم اسحق وانعم على زعيمهم ستيفن نيمانيا Stephen Nemanya بالالقاب . وانتقلت عدوى التمرد الى آسيا الصغرى وظهر فيها متمرد يدعى ثيودور Theodore ولكن ثورته لم تنجح ولجأ في نهاية الامر الى السلطان السلجوقي قليج ارسلان الثاني في عاصمته قونية .

وخلال هذه الاحداث استرد المسلمون مدينة بيت المقدس من الصليبيين في عام ١١٨٧ م فاستعدت اوربا بالحملة الصليبية المعروفة بالثالثة لمحاولة استردادها واستعد ريتشارد قلب الاسد ملك انكلترا ١١٨٩ ــ ١١٩٩ م وفيلب ملك فرنسا ١١٨٠ ــ ١٢٢٣ م وفردريك بربروسا امبراطور المانيا ١١٥٢ ــ ١١٩٠ م واختار ملك انكلترا وملك فرنسا الطريق البحري بينما اختار فردريك الطريق البري عبر الاراضي البيزنطينية وكان على اسحق وفرديرك الاتفاق حول هذا الموضوع رغم ان الامبراطورية البيزنطينية لاتعترف بامبراطور العالم الاوربي . وفي النهاية تم توقيع معاهدة في عام ١١٨٨ م تعهد بموجبها الامبراطور البيزنطي السماح للقوات الصليبية بالمرور عبر الاراضي البيزنطينية ولما كان كل من اسحق وفردريك يخشى نوايا الاخر ، فقد تفاوض اسحق مع صلاح الدين الايوبي .

ولم يكن فردريك اقل حذراً من الامبراطور اسحق ، وكان الامبراطور الالماني قد تحالف مع الصرب والبلغار والنورمان وكل اعداء الامبراطورية . ويبدو ان فردريك قد شك في تصرفات الامبراطور اثناء تقدمه صوب القسطنطينية لذلك كتب الى ابنه هنري لاعداد اسطول لمهاجمة العاصمة من البحر ، في الوقت الذي يهاجمها الامبراطور الالماني من البر . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لان اسحق عجل بعبور القوات الالمانية الى آسيا الصغرى ، ثم مالبث ان مات فردريك غريقاً في احد انهار قيليقية كما ذكرنا سابقاً .